

تفاعل المتعلم في الطور الابتدائي مع الشعر الثوري

The interaction of the learner in the elementary school with revolutionary poetry

* سهيلة بوساحة

Souheyla Boussaha

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريش (الجزائر)

University of Mohamed El Bachir El Ibrahimi, Bordj Bou Arréridj (Algeria) .

Souhyla.boussaha@univ-bba.dz

تاريخ النشر: 2021/09/02

تاريخ القبول: 2021/05/27

تاريخ الإرسال: 2020/11/05

ملخص البحث

تُحاول هذه الورقة البحثية الوقوف على تفاعل المتعلم في الطور الثاني من التعليم الابتدائي مع نصوص شعر الثورة الجزائرية التي سجّلت حضورا ملحوظا في مناهج الجيل الثاني، حيث تعكس هذه النصوص هوية المتعلم الجزائري وتعمل على تثبيتها، وقد حرص معدّو المنهاج الجديد على توحيد مقطع الهوية الوطنية بين متعلمي السنة الثالثة والرابعة ابتدائي؛ على أساس أنه طور التعمق في المكتسبات التعليمية وبإمكانه أن يُعزّز أساسيات المتعلّم المتلقي للنص الجزائري ذي الطابع الثوري؛ وتركيز مناهج الجيل الثاني على المتعلّم في العملية التعليمية دلالة على وعي المنظومة التربوية بذاتها ورغبتها في إحداث تحديثات واعية وضرورية لرفع مستوى التعليم في الجزائر.

الكلمات المفتاح : متعلّم، طور ابتدائي، شعر ثوري، هوية وطنية، الجيل الثاني.

Abstract :

This research paper tries to identify the interaction of the learner in the second phase of primary education with the texts of the poetry of the Algerian revolution, which recorded a remarkable presence in the second generation curricula, as these texts reflect the identity of the Algerian learner and work to confirm it. The authors of the new curriculum were keen to unify the national identity section among the third and fourth year learners of primary school. On the basis that he has developed deep educational gains and can strengthen the basics of the learner who receives the Algerian text of a revolutionary nature; The focus of the second generation curricula on the learner in the learning process is an indication of the educational

* سهيلة بوساحة: souhyla.boussaha@univ-bba.dz

system's awareness of itself and its desire to bring about conscious and necessary updates to raise the level of education in Algeria.

Keywords: Learner, Elementary stage, Revolutionary poetry, National identity, Second generation



أولاً. مقدمة:

لم يسبق للمنظومة التربوية في الجزائر أن اهتمت في مناهجها التعليمية بالشعر الجزائري الذي اتخذ من الثورة مورداً له، ولم تتناوله بوصفه خطاباً يدعو للتغيير؛ لما يتضمنه من حماس في الدعوة إلى النهوض والوقوف في وجه المستعمر، تناولا يسمح باستنباط ضوابط المستوى الفني للوقوف على أداة الشاعر التي أسعفته وسايرته لتحويل القضية من مستواها الإيديولوجي إلى المستوى الفني، من جهة، والوقوف على مدى تفاعل المتعلم مع النص الذي يحمل هويته وتاريخه، من جهة أخرى، لكن مع مناهج تعليم اللغة العربية للجيل الثاني تنبّهت اللجنة إلى فاعلية القراءة، وسعت إليها باعتبارها كفاءة متولدة عن النص بأدوات النص؛ وعلى اعتبار أنّ الهدف الأسمى للعملية التعليمية برمتها يسعى إلى إعداد المتعلم للاندماج في النسيج الاجتماعي والمشاركة في حياة مجتمعه اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً¹، ولأنّ المنهاج الجديد جيء به "لتنظيم العملية التعليمية والتوجيهها نحو الأغراض القومية المنشودة"² وجدت اللجنة الوطنية لمناهج اللغة العربية الشعر الثوري الجزائري كميدان يفكّ لها إشكال التقدم والتطور العلمي، ويسم مناهجها بالدينامية والمرونة؛ وعلى اعتبار أنّ "الميدان جزء مهيكّل ومنظّم للمادة قصد التعلّم"³ حاول المنهاج الجديد إحداث نوع من الانسجام والتقارب بين ميادين اللغة، وسخر النص الشعري الجزائري لخدمة الأهداف التربوية والتعلّمية، واعتبروه من الوسائل التي تُساعد على الوصول إلى المهارات والكفاءات؛ من خلال وعيهم بموارد الشعر الثوري الجزائري الذي "تعدى فيه الشاعر وصف الحياة اليومية والمناسبات الملونة بالوطنية والثورة، وأخذ يُعبّر عن التزامه إزاء الثورة"⁴ الذي يضمن تثقيف المتعلم وتوعيته بضرورة التخلص من القابلية للاستعمار، والذي يُسهم في "نموّ استقلاليته"⁵ من خلال تعزيز هويته التي تُنمي شخصيته؛ ويكتشف الجيل الصاعد منذ الأطوار الابتدائية أنّ التزام الشاعر الثوري بقضايا الأمة والوطنية نابع عن عقيدة وإيمان اعتنقها الجزائري نتيجة قناعته ووعيه بما دون إلزام أو إجبار من جهة معينة لأنّ "أسوأ ما يتعرض له الأديب هو التوجيه من الأعلى واحتكار أفكاره من السلطة، أيّا

كان نوعها⁶ حتى يتعلم المتمدرس حب الوطن ويكتسب آليات الدفاع عنه وردّ العدوان والظلم عليه، كأنّ يحصّن أو يطعم منذ مراحله الأولى ضد الظلم والاستبداد، لذلك سنحاول الوقوف على مدى تفاعل القارئ الجزائري في الطور الثاني من التعليم الابتدائي مع النص الشعري الجزائري؛ الذي يعكس هويته ويعمل على تثبيتها.

ثانيا. حضور الشعر الثوري الجزائري في المنظومة التربوية الجديدة:

سعت اللجنة الوطنية للمناهج، بإيعاز من المجموعات المتخصصة لمادة اللغة العربية، لإعادة النظر في طريقة التعامل مع النص التعليمي، وكيفية استغلاله في تحقيق الأهداف وبناء الكفاءات بما يتماشى ومستجدات التوجه في سياق تعليمية المادة، ولقد أقحمت المناهج الجديدة "التلميذ في العملية التربوية ليكون عنصرا فاعلا فيها"⁷ وما حضور الشعر الثوري الجزائري مع النصوص التعليمية إلا دليل على إمكانية قراءته قراءة نصية محايدة تعتمد على أدواته لتحلية مورده؛ فقلد أعطى الشاعر الثوري الجزائري تجربة شعرية متكاملة في مستويها، تتكشف من خلال "المضامين وطرق المعالجة ووجوه الصياغة"⁸؛ فمن خلال النصوص المكتوبة يُثري المتعلم رصيده اللغوي ويُحقق أهدافا تعليمية لغوية، معرفية، فكرية، سلوكية⁹؛ لأنّ "ميدان فهم المكتوب هو عمليات فكرية تترجم الرموز إلى دلالات مقروءة، ويُعتبر أهم وسيلة في اكتساب المعرفة"¹⁰؛ فالمتصفح للشعر الثوري الجزائري يقف على مدى تضافر بنيات الشعر وتكاملها من أجل تحقيق المورد الثوري، وهذا ما يتماشى وأهداف المنظومة حيث ارتكزت في بناء مناهجها الجديدة على مبدئين أساسيين تمثلا في المقاربة بالكفاءات المستوحاة من البنية الاجتماعية، والمقاربة النسقية¹¹ لخدمة المستوى المنهجي والبيداغوجي؛ فلقد سعت إلى التحديد بالتدقيق المصطلحات وتوحيد المعارف والمهارات المطلوب بلوغها بالنسبة للتلميذ¹²؛ إذ تهدف المناهج التعليمية الجديدة من خلال تركيزها على المقاربة بالكفاءات إلى "إمكانية أن يُجنّد المتعلم مجموعة من الموارد المندمجة، وتُفضّل منطلق التعلم على منطلق التعليم، وتُركّز على التلميذ وردود أفعاله في مواجهة وضعيات مشكلة"¹³، وتهدف من خلال المقاربة النسقية إلى تحديد ملامح التخرج من المرحلة والطور وذلك قصد معالجة نقائص تلك المناهج التي أعدت في ظروف استعجالية¹⁴ مما يسم مناهج التعليم بالدينامية وتملّصها من الثبات والجمود، ويُؤكد أنّ المنهاج التربوي قد راعى سيورة المقطع التعليمي، بدءا من الوضعية المشكّلة الانطلاقة الأم ووضعيات إرساء الموارد بمختلف مركباتها التي تشمل المعارف والتوظيف والقيم، وما يتخلل المقطع من محطات لتعلم الإدماج، وصولا إلى الوضعية الإدماجية والتقويم¹⁵ وهذه المراعاة يمكن الوقوف عليها في

مادة اللغة العربية؛ حيث مع كل ميدان أو إجراء ينعكس المورد ويتجلى وما على التلميذ المتلقي للنص الثوري الجزائري إلا أن يربط هذه الميادين بما يمتُّ بصلته إلى مورد الثورة، واضعا في اعتباره أنّ الشاعر الجزائري على وعي وإدراك لفاعلية الأداة الفنية وقدرتها على التحوير والتحويل لما هو فكري وإدراجه عالم الفن باستعماله اللغة الفنية، وهذا ما يكشف عنه شعره الذي عالج من خلاله قضية فكرية تُمثلها الثورة، ونجح في إعطائها بعدا فنيا من خلال ربطها بالجانب النفسي والشعوري الذي تكشف عنه اللغة؛ فالنصوص المكتوبة "تغرس في المتعلم قيما متنوعة"¹⁶ منها ما هو إنساني واجتماعي وثقافي، وتغلب عليها القيم الوطنية؛ لأنّ ما كتب عن الثورة الجزائرية يغلب عليه الطابع التاريخي الجاف، والذي ضمن لها الظهور في كتاب التاريخ المدرسي دون كتاب اللغة العربية، فالتركيز كان على الجانب الموضوعي دون الفني¹⁷ دون أن ننفي دور كتاب مادة التاريخ الذي يُكسب التلميذ وعيا بمكونات هويته من خلال اكتشافه لتاريخه العريق، مما يعني أنّ مناهج الجيل الثاني قد سمحت بإدراج تحسينات في المناهج الحالية دون المساس ببنية المواد¹⁸؛ فمن بين التحسينات التي أُجريت على مادة اللغة العربية اهتمامها بالثقافة الجزائرية، الذي سمح بحضور الشعر الثوري في كتب اللغة العربية للتعليم بأطواره والذي سمح للجانب الفني بالظهور؛ إذ "تعتبر النصوص المكتوبة حقولا خصبة للدراسة الأدبية، فمن خلالها يتم تناول الظواهر النحوية والصرفية والإملائية"¹⁹ لذا يمكن اعتبار غلبة الجانب التاريخي في الكتابة عن الثورة بمثابة الأرضية التي مهدت الطريق للقيام بتحسينات في مادة اللغة العربية والاهتمام بكل ما هو فني؛ على اعتبار أنّ "الشروط الموضوعية للتطور التاريخي هي التي تحدّد الشكل والمضمون وتحقق وحدتها ذروة التطور الفني"²⁰ وقد يكون سببا في التفات المنظومة التربوية والتعليمية للشعر الثوري الجزائري، ووعيتها بأهميتها في مناهج التعليم واكتساب الكفاءات، ولقد "توقّع بعض النقاد أنّ مستقبل الإبداع في الأدب العربي سينبعث من المغرب العربي؛ للانتفاضة التي أحدثها الشعر الجزائري من خلال تفاعله مع الواقع الثوري المتطور، كون الشعر الجزائري شعر قضية وطنية قوامه الواقع، باقي الإبداعات ستجد نفسها في الركب الخلفي"²¹، ولقد مسّت التحسينات التي أجرتها مناهج الجيل الثاني على مادة اللغة العربية "المحتويات وطرق التعليم، بحيث يتم التركيز على القيم الجزائرية"²²؛ وما اعتماد المنظومة التربوية الجزائرية على نصوص إبداعية جزائرية إلا دليل على صدق التوقعات، ووقوف على دور الشعر الجزائري الثوري في الحفاظ على ثوابت الأمة ومقدساتها.

ولقد أُلهم سؤال الهوية الكفاح الوطني بأوروبا خلال القرن السادس عشر، وألهم حروب التحرير في كل من آسيا وإفريقيا خلال القرن العشرين²³، ولقد خضع الشعر الجزائري لطموحات الشعب الثورية وسعيه للحصول على الاستقلال لإثبات هويته، واتخذ الأدباء الجزائريون من التيار الواقعي الاشتراكي منهجا أدبيا انعكست فيه فئات الشعب الجزائري الحاملة لواء الثورة؛ حيث أنه و"في وسط مبادئ مدرسة الجزائر الأدبية، وداخل خصائصها الأساسية وتناقضاتها بين النزعة الإيديولوجية الاندماجية والنزعة الوطنية الثورية ظهر الأدباء الحاملين للوعي والوطنية والمعبرين عن الجماهير في سعيها للاستقلال وتكوين وحدتها الوطنية قبالة الآخر المستعمر، ويتلخص هذا في البحث عن الأنا؛ أي عن الهوية التاريخية للشعب الجزائري"²⁴ إذ تفتن الشاعر الجزائري لسياسة الاستعمار الفرنسي التي استهدفت الهوية والكيان الجزائري وكل ما هو أصيل وعريق فكان "إذا دور معتبر وصاحب كلمة واعية وضمير وطني إنساني حي، مجاهدا بإيمانه وفكره وموقفه وروحه في صمت الوثائق، مشدودا لهم قومي عام ومتطعنا لحلم وطني"²⁵ وكان يدعو إلى "الثورة ضد المعتدي الذي يعبث بالقيم الإنسانية"²⁶ ويتركز في نصوصه على كل ما يحمل معنى الهوية ويساعد على ترسيخها وتثبيتها لدى المتلقي لنصوصه، لذلك فلما وصلت المنظومة التربوية في الجزائر إلى مرحلة حتمت عليها "تحيينا للسندات التربوية، وتحديثا للوسائل البيداغوجية المعتمدة في التدريس"²⁷ عرفت إصلاحات شملت المناهج الدراسية وسمحت بحضور النص الجزائري في منظومة الجيل الثاني؛ إذ يقف القارئ لنصوص الأدب الجزائري على ارتباطه بقضايا الحياة والمجتمع، ويجد أنّ موضوعاته وموارده في الغالب "سياسية اجتماعية"²⁸ لذلك راعى مؤلفو الكتب المدرسية للطور الثاني وفي المقطع التعليمي الخاص بالهوية الوطنية هذا الارتباط الذي ضمن للنص الجزائري الحديث حضورا مكثفا في مختلف أطوار التعليم في الجزائر؛ حيث أصبح حضوره حتمية فرضتها مناهج التعليم من أجل تحيين مضامينها بإيعاز فرضه التقدم العلمي والتكنولوجي لإدراج معارف جديدة²⁹؛ ففي كتابي الطور الثاني من التعليم الابتدائي يتلقى المتعلم مقطع معنون بالهوية الوطنية؛ حيث يتضمن كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة ابتدائي ثمانية مقاطع³⁰، يهتم كل مقطع بمحور من المحاور المقترحة في المنهاج، والتي تعبر عن واقع ما يعيشه المتعلم وتطلعات مجتمعه، فهي مقاطع ذات دلالة وبعد إنساني اجتماعي وطني، بيئي وثقافي، وهي مخططات ذات دلالة بالنسبة للمتعلم ومن صميم واقعه المعيش، تُشجّع وتُنمي حس التواصل والمبادرة والتحليل والإبداع والتفتح على الآخر، "وتماشيا مع إصلاحات الجيل الثاني التي عززت البعد القيمي للمناهج"³¹، وترتكز في هذا البعد على "تعزيز قيم الهوية الوطنية"³²؛ فالمتعلم لصورة الثورة الجزائرية في الشعر الثوري يجدها قد ارتسمت

بملاحظتها البارزة وحتى في جزئياتها الدقيقة³³ الأمر الذي يتكشّف معه أنّ الشاعر الجزائري لم يكن بمعزل عن الواقع الاجتماعي وتبنى الحدث الثوري وحوّله إلى قضية إبداعية شغلت كل مبدع وفنان؛ لارتباطها بكيان الشعب الجزائري وهويته.

ثالثا. تفاعل المتعلم في الطور الثاني من التعليم الابتدائي مع شعر الثورة الجزائرية:

يُعوّل على الكتاب المدرسي أن يُقدّم قدرا مشتركا من المعلومات والحقائق، ويُمثّل الحد الأدنى الذي يجب أن يتمكن منه جميع التلاميذ، ويتخذ منه كل تلميذ نقطة انطلاق في الاتجاه الذي يتفق مع ميوله وقدراته³⁴، لذا يقتضي "إعداد أيّ منهاج الاعتماد على منطوق يربط الأهداف المقصودة بالوضعيات والمضامين والأساليب المعتمدة لتجسيدها، وربطها بقدرات المتعلم وكفاءات المعلم³⁵" والتي تمت مراعاتها في إعداد منهاج الجيل الثاني؛ حيث احتوى كتابا الطور الثاني من التعليم الابتدائي، السنة الثالثة والرابعة، مقطعا تعليميا معنونا بالهوية الوطنية، ومن شأن هذا المقطع وباقي المقاطع أن تُحدث التواصل والتفاعل والانفعال المطلوب، إذ يشتمل كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة³⁶ على ثمانية مقاطع تعليمية تُعالج محاور القيم الإنسانية والحياة الاجتماعية والهوية الوطنية والطبيعة والبيئة والصحة، معبرة عن واقع وبيئة المتعلم المعيشة وتطلّعات مجتمعه في مختلف جوانب ومجالات الحياة، ولقد حوى مقطع الهوية الوطنية في كلا المستويين نصوصا جزائرية تكشف مواردها عن التزامها بقضايا الشعب الجزائري وتعالج مشكلة الهوية التي عانت منها طوال فترة الاستعمار، وتُعطي صورة واضحة المعالم دقيقة الملامح للحياة الجزائرية؛ وهي "المضامين المراد إرساؤها لتحقيق الكفاءة المستنبطة من المصفوفة المفاهيمية"³⁷، ولأنّ مهمة الحفاظ على الهوية الوطنية تقع على الأدب الذي يتحمل المسؤولية، فلقد تولى الشاعر الجزائري هذه المهمة وعالج في نصوصه سؤال الهوية وسعى إلى ترسيخها؛ إذ يعتبر الشعر الثوري الجزائري النموذج الأكمل الذي يعكس الثورة الجزائرية في الصميم، ويسعى إلى "بلورة الطابع القومي في الشعر والتعبير عن إرهابات الثورة المختزنة في النفوس"³⁸، ففي كتاب السنة الثالثة³⁹ وُظّف نص "شهيد الوطن" لتحقيق الكفاءة الختامية من النص الجزائري الذي يهدف إلى تفاعل المتعلم بالشخصيات البطلة التي قاومت الاحتلال الفرنسي، لغرس المبادئ الثورية في نفسه وتعليمه حب الوطن والذود عنه واكتساب صفات الشهداء والمضححين بأنفسهم من أجل الحرية والاستقلال والتأثر بهم، وفي نص "العالم" يتعرف المتلقي على أهم رمز من رموز هويته، ودلالة أشكاله ورمزية ألوانه التي تعكس التضحية والنضال، حيث يمكن الوقوف على تفاعله واستجابته مع هذا النص من خلال احترامه لعلم وطنه وتحيته له بعزة وافتخار؛

"فاحترام ألوان العلم والرموز الوطنية والدفاع عنها يدخل ضمن الضمير الوطني الذي هدفت اللجنة الوطنية لمناهج التعليم الابتدائي أكسابه للتلميذ داخل المنظومة التربوية⁴⁰ وهي تعول على هذه النصوص لتحقيق أهدافها الموهونة بمدى قدرة فنيات النص على إثارة ردة فعل المتلقي واستجابته، واختير في كتاب السنة الرابعة⁴¹ نص "أجمل الأوطان" ليحبب للمتعلم وطنه ويُعرّفه به ويغرسه في فكره على أنه حنة وخيراته وآثاره متنوعة، يجب عليه أداء واجباته اتجاهه، كما تمّ اختيار نص "يا أمي لا تبكي علي"⁴² الذي ينضح حبا للوطن والتضحية بالنفس من أجل استرجاعه؛ ولأنّ الطور الثاني من التعليم الابتدائي "طور التعمق في التعلّمات الأساسية"⁴³ عوّلت عليه المنظومة التربوية لتُعزّز به ثوابت القارئ المتعلّم "ليُعبّر عن مشاعره اتجاه معاناة وتضحيات المجاهدين إبان الثورة"⁴⁴ الجزائرية ويكشف عن ردة فعله ونوعية استجابته مع نصوص إثبات الهوية الجزائرية واعتزازه بمقوماتها ومرجعياتها الثابتة، فالعلاقة بين القارئ والنص علاقة تفاعل والمعنى مشترك بينهما؛ ذلك أنّ نظرية القراءة والتلقي "الوحيدة التي بينت كيفية تغيير الشكل الأدبي تغيراً ضمناً داخل النص نفسه من أجل غاية جمالية تتعلق بالمتلقي"⁴⁵ الذي يستهدف المستوى الجمالي ويتولى الحديث عن الأدب ويُقيّم مستواه الفني، و"تستأثر بتحليلاته الخصائص الجمالية للنصوص الأدبية"⁴⁶، لذلك يتفاعل القارئ المتعلّم في الطور الثاني مع أنشطة مقطع الهوية الوطنية على أساس أنّ المقطع "مجموعة مرتبة ومترابطة من الأنشطة والمهام، ويتميز بوجود علاقات تربط بين مختلف أجزائه المتتابعة من أجل إرساء موارد جديدة وتحقيق مستوى من مستويات الكفاءة الشاملة أو تحقيق كفاءات ختامية معينة"⁴⁷ تتمركز حول هويته وأصالته، إذ يحوي مقطع الهوية الوطنية ثلاث وحدات يضاف لها المحفوظات وينتهي كل مقطع بمشروع ونشاط الإدماج والتقييم، حيث يُدمج التلميذ في نهاية المقطع التعلّمي الموارد من خلال التعامل مع وضعيات إدماجية"⁴⁸ ولقد سعى معدّو المنهاج الجديد إلى تكييف ميادين اللغة العربية مع أهداف المقطع؛ حيث اختيرت مواردها ومضامينها بعناية؛ ليكون "كل مقطع وعاءاً تُعالج ضمنه ميادين اللغة وينتهي بمشروع إدماج وتقييم، لتوظيف واختبار الكفاءات المستهدفة"⁴⁹؛ إذ يهتم كل مقطع "ويُروج للرصيد اللغوي والمواد المعرفية والمنهجية الخاصة بالمحور من خلال ميادين اللغة"⁵⁰، ولقد تمّ التركيز في مختلف الوحدات والبياديين على ما يُعزّز الهوية الوطنية ويُؤدي إلى احترام رموزها من علم ونشيد وعمل وختم الجمهورية إلى خريطة الجزائر للافتخار بالمعالم المميزة للوطن، للوصول إلى حبه والدفاع عنه⁵¹، ويمكن اعتبارها "مظهراً من مظاهر البحث عن الهوية"⁵²، فما تهدف إليه المنظومة التربوية في المقطع المعنون بالهوية الوطنية يُجسّده ويُحقّقه النص الثوري الجزائري أيما تجسيد، ويمكن اعتبار

قضية البروز الصريح للثورة بملاحمها وجزئياتها في الشعر الجزائري الحديث دلالة على حضورها في مادة اللغة العربية للطور الثاني من التعليم الابتدائي؛ إذ ترتبط المدرسة الجزائرية بمسار مستمر يتولد منه منتوج دائم البناء⁵³ لذلك ركزت المناهج الجديدة على "استراتيجيات التدريس ومحورتها حول المتعلم لتجعل منه متعلما نشطا ومفكرا مبدعا وباحثا متطلعا"⁵⁴؛ فما تسعى إليه المنظومة في نهاية التعليم الابتدائي هو تكوين تلميذ قد تعلم وترسخت فيه مبادئ الوطنية والتي تصاحبه وتقوده للاعتزاز بهويته ووطنه؛ فالتحضير لهذا الميلاد يتم من خلال الإبداع الذي يتبنى الفكرة الثورية ويسعى جاهدا عن طريق الفن وليس الفكر، إلى ترسيخها في ذهن المتعلم وإبراز المبادئ الثورية التي تكون حتما مخالفة للأوضاع السائدة، والعمل على تثبيتها للتثقيف بها، وهذا ليس بدعا ابتداع مع الثورة الجزائرية؛ فتاريخ الثورات جميعا، بغير استثناء، يسعى إلى إيصال الفكرة عن طريق الأدب، وما فشلت كتب التاريخ المدرسي في ترسيخه رسخته الشعر، ولقد استطاعت لجنة منهاج اللغة العربية في الجيل الثاني استيعاب فكرة لا وجود لثورة ما لم تسبقها طبيعة أدبية تتكفل بتعبئة القوى المذخورة والطاقات الكامنة؛ كما لا يمكن أن تتم مرحلة التحضر الثوري في ضمير الأمة بمعزل عن الفكر والفن⁵⁵ فمكنت للشعر الثوري الجزائري حضورا في الكتاب المدرسي لثمة الحس الثوري في أبناء الجزائر وتحديث التعبئة الجماهيرية لتنشئتهم على مبادئ الثورة التي علّمت الشعب الجزائري معنى الهوية والوطنية، فالمتعلم في الأدب الجزائري الحديث سجل حضوره في الكتاب المدرسي يجده لأمس رموز الهوية كما تمثلها شخصيات الثورة؛ إذ توجد الوحدة الثانية من مقطع الهوية الوطنية في كتاب السنة الرابعة ابتدائي معنونة بـ"الأمير عبد القادر" وذكرت الشخصية بصفاتها المعنوية والعسكرية، وقدمت للمتعلم على أساس أنّها شخصية وطنية عالمية قاومت الاستعمار من أجل تحرير بلادها؛ وهذا التركيز من أجل أكساب التلميذ بعض صفات الشخصية خاصة حبها للوطن والدفاع عنه⁵⁶، أو كما تُثقلها معالم الجزائر كعرض صور لمقام الشهيد مثلا، لتوسيع معلومات المتعلم من خلال ادراكه لمكونات الهوية الوطنية الموزعة على كل ما له صلة بالوطن⁵⁷، ولقد وُفق شعراء الثورة الجزائرية في تجسيد طموحات الشعب الجزائري، ذلك أنّ نظم الشعر الوطني والحماسي هو "تلبية للجمهور وتعبيرا عن الثورة المضطربة في نفسه"⁵⁸ وقد كانت الحلول التي قدمها الشاعر الثوري صائبة، وهذا أمر لا تحكمه الصدفة وإنما لأنّ منطلقاتهم مؤسسة، فالشاعر يعتمد على الوعي الواقع الذي يملكه الشعب الجزائري ويبنى وعيه الممكن، وهذا ما يحتاج المتعلم اكتسابه من خلال مقارنته للنصوص الثورية الجزائرية؛ لأنّ المناهج الجديدة "تركز على البعد القيمي للمنهاج واضعة البنيوية الاجتماعية في صدارة الاستراتيجيات المنهجية حتى يكون المتعلم

في خضم هذه التطورات قادرا على مواجهة العالم الخارجي، معتزا بانتمائه وهويته الحضارية⁵⁹ ويخرج من النص الثوري الجزائري بقيم وطنية من خلال قراءته لهذه "النماذج التي قيلت قبيل الثورة المسلحة والتي استجاب الشعب الوفي لنداء الشعراء وحقق لهم حلمهم بتحرير الوطن من الأعداء الظالمين"⁶⁰ وتبطل فكرة أنّ الإبداع يصاحب الحدث ويكون مجرد سرد لأحداث الواقع؛ إذ تكفلت هذه النصوص بتحقيق ما تهدف إليه المنظومة التربوية، من خلال تغيير مناهج الدراسة وتبنيها للنظريات الحديثة التي أتاحت الفرصة للبنيات الفنية للنص بأن تتولى مهمة فك مغاليقه وتفسيره، وكذلك لاعتمادها على المقاربة النصية بوصفها اختيارا بيداغوجيا يُجسد النظر إلى اللغة باعتبارها نظاما ينبغي إدراكه في شمولية؛ حيث يُتخذ النص محورا أساسيا تدور حوله جميع فروع اللغة، ويمثل البني الكبرى التي تظهر فيها كل المستويات اللغوية والصوتية والدلالية والنحوية والصرفية والأسلوبية⁶¹ فمقاربة النص طريقة تربوية تُفعل درس اللغة، وتضع المتعلم موضع المتفاعل مع ما يتعلم، "وُتدرّبه على التصرف من خلال البحث عن المعلومة، وتنظيم وضعيات وتحليلها، وإعداد فرضيات وتقديم الحلول، من خلال وضعيات مشكلة مختارة كمشكلات يواجهها في الحياة"⁶²، لذا ففضية الشعر الثوري الجزائري من أهم القضايا التي تتماشى مع الأهداف الأساسية التي تتوخاها المنظومة التربوية من إصلاحاتها وتحديثاتها في مناهج التربية والتعليم، مع أنّ نشأة هذا الشعر كانت نشأة متعثرة في مجملها نظرا للبيئة التاريخية والثقافية التي ميّزت مرحلة ظهوره وتطوره، حيث كانت ظروف شعراء الجزائر أكثر ملاءمة لتقليد التراث العربي. ولم يكن اهتمامهم منصبا على المستوى الفني بقدر ما كان محاولة للتعبير عن الظروف التاريخية التي تعيشها الجزائر في ظل الاستعمار؛ فلقد حاول الشعر الثوري الجزائري أن يشق طريقا نحو النمو والتطور ليؤدي رسالته بوصفه صوت الشعب الجزائري في كفاحه ضد الاستعمار، وبالتالي لا نستغرب اهتمام الرعيل الأول من شعراء الجزائر بقضايا المضامين، التي كانت استجابة للحركات السياسية والإصلاحية التي كانت تنادي بنشر الوعي الوطني مهملة الجانب الفني لمرحلة لاحقة، وهذا ما يفسّر تغافل مُعدّي كتب اللغة المدرسية للجيل الأول في الاعتماد على الشعر الجزائري لترسيخ أسئلة الهوية وتنامي الاعتزاز بالثواب الوطنية للتلميذ الجزائري، بسبب غياب الوعي بفاعلية النص الإبداعي الجزائري لدعم هذه الأسئلة والثواب؛ "فالكتاب المدرسي يُعد مرجعا أساسيا في العملية التعليمية التعلمية، يُكسب المتعلم مهارات التفكير والتحليل والاستنتاج، ويُساهم في تعريفه بالثقافة المجتمعية والبيئية، وبالتالي مساعدته في تكوين الاتجاهات والقيم التي تُسهم في إعداد عناصر فعالة في المجتمع للمحافظة عليه والنهوض به"⁶³، أما معدّوا نصوص كتب اللغة العربية في الجيل

الثاني فعلى وعي بأهمية كتاب اللغة المدرسي ودوره في غرس القيم الوطنية، من خلال تركيز المنظومة التربوية على خطاب الإبداع في اكتساب الكفاءات، بإدخالها نصوصا جزائرية في كتاب اللغة العربية، ولم تكتف بحضور الثورة كقضية تاريخية من خلال كتاب التاريخ المدرسي.

ولم تعتمد مناهج الجيل الثاني لتحقيق أهدافها على مناهج تحليل النصوص السياقية؛ إذ لم تستعن بالعناصر الخارج نصية لفهم مضمون العمل الشعري، أو ما عناه الشاعر ومقصدية خطابه الشعري، ولا حتى اعتمدت على المجتمع في توضيح قضية الثورة، وإنما اعتمدت على المعاينة الحايثة وركزت على البنيات الشكلية الداخلية للنص التي بإمكانها الوصول إلى كفاءات ومكتسبات ترتضيها للتلميذ القارئ لنص من أجل التعلّم؛ لذا تُعد مناهج الجيل الثاني قفزة نوعية مقارنة بمناهج الجيل الأول التي لم تكن فيها المعارف والمهارات محدّدة سلفاً⁶⁴.

رابعا. خاتمة

إنّ حضور الأدب الجزائري بأنواعه في المنهاج التعليمي في الجزائر دليل على وعي المنظومة التربوية بأهمية النص التعليمي في إكساب المتعلم قيما ثقافية تُنمي الروح الوطنية لدية؛ وما تركّيز مناهج التعليم الجديدة في الجزائر على المتعلّم واشراكه في العملية التعليمية إلاّ رغبة منها لإحداث تغييرات وتطورات تُساعد في تعزيز هوية المتعلم، من خلال النصوص الأدبية التي تُعالج قضايا الوطن والانتماء؛ إذ نلاحظ حضورا ملفتا لنصوص مختارة من الأدب الجزائري، الثوري منه خاصة، تسعى المنظومة التربوية من خلال توظيفها إلى تكوين المتعلّم فكريا وثقافيا، وتدفعه للاعتزاز بالتراث الجزائري، وُترسّخ فيه توابته الوطنية وتدفعه إلى تمثّلها والاستفادة منها، لما فيها من حماسة وثورية.

ولعلّ أهم ما توصي به هذه الدراسة:

ضرورة توظيف نصوص الأدب الجزائري، التي تعكس الحاضر وتُساير مختلف التطورات والأحداث الحاصلة في المجتمع الجزائري المعاصر، كنصوص تعليمية بدل النصوص التي تمجّد الماضي وتتغنى بالبطولات، صحيح أنّ الطور الابتدائي طور التعمق في المكتسبات، والمتعلم فيه بحاجة إلى ما يعزّز ثوابته ويدعم هويته، لكنه بحاجة أكثر إلى نص حداثي يجسّد الطموحات ويقدم حلولاً للراهن والمعاش.

استحضار النص الأدبي الجزائري من المنظومة التربوية، وفي مختلف أطوارها، لتقريبه من المتدّرس، حضورا يقلل من الجهل به؛ في جميع المستويات وحتى في أطوار التعليم العالي، فالمطلوب من اللجنة الوطنية لمناهج التعليم الابتدائي الجديدة استدراك الأمر، وتسطير أهدافا من أجل التعلّم من خلال توظيف النص اللغوي

المنتج في سياقه الاجتماعي والثقافي، وتطالب بتعليم هذا النص في ضوء البيئة الاجتماعية التي وُلد فيها وفي إطاره الثقافي، من أجل تحقيق الكفاءات المرجوة من توظيف نص جزائري ينضح قومية ووطنية، وأكثر حضارة وحادثة.

هوامش:

- ¹ ينظر: وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، (الجزائر)، دط، السنة الدراسية 2017-2018، ص: 06.
- ² ينظر: وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، (الجزائر)، دط، السنة الدراسية 2017-2018، ص: 05.
- ³ ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 11.
- ⁴ عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، (بيروت)، ط1، 1991، ص: 109-110.
- ⁵ اللجنة الوطنية للمناهج: مناهج مرحلة التعليم الابتدائي، المجموعات المتخصصة للمواد، وزارة التربية الوطنية، (الجزائر)، دط، 2016، ص: 06.
- ⁶ أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر)، دط، 1983، ص: 33.
- ⁷ ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 08.
- ⁸ محمد بن سميحة: في الأدب الجزائري الحديث: النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، مؤثراتها بدايتها مراحلها، مطبعة الكاهنة، (الجزائر)، ط1، 2003، ص: 92.
- ⁹ ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 06.
- ¹⁰ ينظر: المرجع نفسه، ص: 19.
- ¹¹ ينظر وزارة التربية الوطنية: اللجنة الوطنية للمناهج، مناهج مرحلة التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 07، وينظر أيضا وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 06.
- ¹² ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 07.
- ¹³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 10.
- ¹⁴ ينظر اللجنة الوطنية للمناهج: مناهج مرحلة التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 03.
- ¹⁵ ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 03.
- ¹⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص: 06.
- ¹⁷ يحيى الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا: دراسة فنية تحليلية، دار البعث للطباعة والنشر، (الجزائر)، قسنطينة، ط1، 1987، ص: 9-10.

- 18 ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 07.
- 19 ينظر: المرجع نفسه، ص: 06.
- 20 نبيل سليمان: أسئلة الواقعية والالتزام، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، (سوريا، اللاذقية)، ط4، 2005، ص: 45.
- 21 ينظر حسن فتح الباب: شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر)، دط، 1987، ص: 40.
- 22 ينظر: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي. ص: 07.
- 23 ينظر مصطفى المسعودي: من نحن في زمن التحولات الكبرى: سؤال الهوية الحضارية السياق المغربي أمودجا، دار ناشري للنشر الإلكتروني، دط، ، 2012، ص 8-9.
- 24 عمار بلحسن: عن الأدباء وثورة 1954 من ايدولوجيا الاندماج إلى الوعي الثوري، مجلة الكاتب العربي، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، (سوريا) العدد 7، 1984، ص42.
- 25 عمر بن قينة: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (سوريا)، دط، 1999، ص 52.
- 26 محمد بن عمرو الطمار: تاريخ الأدب الجزائري الحديث تأريخاً وأنواعاً وقضايا وأعلاماً، ديوان المطبوعات الجامعية، (الجزائر)، دط، 1995، ص 340.
- 27 ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 03.
- 28 أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، مرجع سابق، ص: 32.
- 29 ينظر اللجنة الوطنية للمناهج: مناهج مرحلة التعليم الابتدائي. ص: 03.
- 30 ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 06-07-11.
- 31 المرجع نفسه، ص: 03.
- 32 وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 06.
- 33 ينظر يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، مرجع سابق، صص: 81-82.
- 34 ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 04.
- 35 ينظر اللجنة الوطنية للمناهج: مناهج مرحلة التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 05. ينظر أيضا: وزارة التربية الوطنية، دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 06.
- 36 ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 04.
- 37 ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 11.
- ينظر أيضا وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 13.

- ³⁸ صبري حافظ: الأدب والثورة: الشعر الروسي الحديث دراسة وقصائد، دار التنوير للطباعة والنشر، (بيروت)، ط1، 1985، ص: 25.
- ³⁹ ينظر مجموعة من المؤلفين: كتاب السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، اللغة العربية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، (الجزائر)، دط، السنة الدراسية 2017-2018، ص: 42-56.
- ⁴⁰ ينظر اللجنة الوطنية للمناهج: مناهج مرحلة التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 160.
- ⁴¹ ينظر مجموعة من المؤلفين: كتاب السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، اللغة العربية، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، (الجزائر)، دط، السنة الدراسية 2017-2018، ص: 55.
- ⁴² ينظر: المرجع نفسه، ص: 55.
- ⁴³ ينظر: المرجع نفسه، ص: 17.
- ⁴⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص: 46.
- ⁴⁵ ناظم عودة: تحولات النظرية النقدية الحديثة، النادي الأدبي الثقافي، (جدة السعودية)، المجلد 14، العدد 42، سبتمبر 2004، ص: 222.
- ⁴⁶ عبد الله ابراهيم: النقد الثقافي مطارحات في النظرية والمنهج والتطبيق، مجلة آفاق، يصدرها إتحاد كتاب المغرب العربي، (المغرب)، العدد 67، أبريل 2002، ص: 188.
- ⁴⁷ ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 11.
- ينظر أيضا: وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 13.
- ⁴⁸ ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 07.
- ⁴⁹ ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 04.
- ⁵⁰ ينظر وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 11.
- ⁵¹ ينظر: المرجع نفسه، ص: 42-56.
- ينظر مجموعة من المؤلفين: كتاب السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، اللغة العربية، مرجع سابق، ص: 45-58.
- ⁵² مصطفى المسعودي: من نحن في زمن التحولات الكبرى، مرجع سابق، ص: 5.
- ⁵³ ينظر اللجنة الوطنية للمناهج: مناهج مرحلة التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 03.
- ⁵⁴ وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 03.
- ⁵⁵ ينظر عائشة عبد الرحمن: قيم جديدة للأدب العربي القلم والمعاصر، دار المعارف، (القاهرة)، ط2، 1992، ص: 254-255.
- ⁵⁶ ينظر مجموعة من المؤلفين: كتاب السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 48.

- ⁵⁷ ينظر المرجع نفسه، ص: 53.
- ⁵⁸ شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، (مصر)، ط10، 1992، ص: 54.
- ⁵⁹ وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 03.
- ⁶⁰ أنيسة بركات: أدب النضال في الجزائر، مجلة الثقافة، إصدارات وزارة الثقافة، (الجزائر)، السنة السادسة عشرة، العدد 95، سبتمبر، أكتوبر 1986، ص: 295.
- ⁶¹ ينظر: وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 11.
- ينظر أيضا: وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 10.
- ⁶² ينظر: وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 10.
- ⁶³ ينظر: وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 07.
- ينظر أيضا وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 03.
- ⁶⁴ وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مرجع سابق، ص: 07.